العودة إلى الأرض

: التأريخ ، والريفية ، والأمة في ويلز بين الحربين العالميتين

من معاملات معهد الجغرافيين البريطانيين، العدد 19 (1994): 61–77

بيرز جروفود

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

أحد الموضوعات المتسقة إلى حد ما والتي تشق طريقها عبر هذا الجزء من الكتاب هو الارتباط الوثيق بين جغرافية الثقافة وبناء الأمة (ينظر أيضًا الجزء الخامس). لقد تم تجنيد الجغرافيين منذ فترة طويلة في مشروع "تخيل" الأمة . في أوصافهم لتاريخ المظاهر الطبيعية (هوزكينز، ص 105)، أو أساليب الحياة الإقليمية القائمة على التفاعلات بين البيئة المادية والثقافة (فيدال، ص 90) ، أو من خلال ترسيم حدود المناطق الثقافية العرقية (ديت، ص 123) ، شارك الجغرافيون في سياسة ثقافية غير معترف بها والتي كذبت افتراض الجغرافيا كعلم "موضوعي" و"محايد للقيم" .

تم التعبير عن الكثير من هذه السياسة الثقافية في الارتباط المفترض بين الثقافات الشعبية الريفية والهوية الوطنية "الخالصة" . غالبًا ما وجد الجغرافيون وغيرهم من المثقفين في أوائل القرن العشرين في التقاليد الثقافية المحلية أو الإقليمية بقايا متناثرة من ثقافة وطنية "أكثر صدقًا" نجت بعد الأماكن الصناعية والحضرية . وبحلول ثمانينيات القرن العشرين ، بالطبع ، كان هذا النوع من جغرافية الثقافة لإنقاذ العرقيات يتعرض للنقد كونه غير ذي صلة بمخاوف المجتمع المعاصر . لقد تعرضت كل من لوحة جغرافية فرنسا التي كتبها فيدال ، ودراسات إيفانز عن أيرلندا الشمالية ، والمظاهر الطبيعية الثقافية التي رسمها ساور ، للانتقاد بسبب الرومانسية المناهضة للحضر والصناعة التي رأت في ثقافة الفلاحين الشعبية نوعًا من النقاء الذي يمكن من خلاله العثور على الهوية الحقيقية للشعب .

ولكن في دراسة بيرس جروفود لحركات "العودة إلى الأرض" في ويلز بين الحربين العالميتين ، تم تقديم تفسيرا أكثر تعقيدًا لهذه الرومانسية . وبينما يمكن إثبات أن علماء مثل كارل ساور و دبليو جي هوسكينز نظروا إلى المشهد الثقافي بعيون محافظة ، فمن الخطأ افتراض وجود رابط ضروري بين تقليد الدراسات الإقليمية والموقف الفكري المناهض للحداثة . لقد احتفل فيدال نفسه بالتطور الصناعي في فرنسا . وكما زعم جروفود هنا ، فإن العديد من المثقفين الويلزيين في فترة ما بين الحربين العالميتين ، مثل إتش. جيه. فلور (1877-1969) ، عدوا المشهد الثقافي الريفي موقعًا "للاندماج المثالي بين التقاليد والحداثة ، والذي تحدَّى الفكرة الاستقطابية للركود الريفي والتحديث الحضري ."

نشأ إتش. جيه. فلور في غيرنزي ودرس العلوم الطبيعية في أبيريستويث في عام 1897، وفي وقت لاحق في زيورخ . عاد فلور إلى أبيريستويث لإلقاء محاضرات في علم الحيوان والجيولوجيا ، ولكن بحلول عام 1908 كان يلقي محاضرات في الجغرافيا ، وفي عام 1917 عُيّن رئيسًا لقسم الجغرافيا والأنثروبولوجيا . وكان إستين إيفانز أحد أشهر طلاب فلور . مثل العديد من العلماء البشريين في عصره ، تأثر فلور بنسخة لامارك الجديدة من نظرية التطور، والتي كانت تعتقد أن الكائنات الحية تعدل نفسها استجابة للتغيرات في بيئتها . ومع ذلك ، فقد ركز عمله بشكل أكبر على التفاعل بين البشر و بيئتهم ، على غرار الاحتمالية المرتبطة بفيدال دي لا بلاش وطلابه . كما تأثر فلور بعالم الأحياء وعالم الاجتماع ، باتريك جيديس ، وحركة المسح

الإقليمي التي بدأها جيديس. بيرز جروفود هو محاضر أول في الجغرافيا بجامعة ويلز سوانسي . ركز بحثه على جغرافية ثقافة ويلز في القرن العشرين ، مع اهتمام خاص بقضايا المظاهر الطبيعية ، والهوية الويلزية ، والحفاظ والتخطيط . وهو مؤلف للعديد من المقالات الصحفية حول جغرافية ثقافة ويلز ، وهو محرر مشارك في جغرافية الثقافة في الممارسة (2004)

لقد زعمت العديد من النصوص الحديثة أن الأمة والهوية الوطنية أمران متغيران ، ويرتبطان بالسياق ، ومتنازع عليهما . ويزعمون أنه يجب قرائتهما في سياق خطابات متنوعة مثل السرد النصي ، والجنسانية ، والوطنية . **لقد أصبحت الأمم الآن متخيلة بقدر ما هي كيانات مادية**... وهذه العملية من التخيل الثقافي والجغرافي هي موضوع هذه الورقة . و وفقًا لأنتوني سميث [الأصل العرقي للأمم، 1986]، فإن "الأساطير والمظاهر الطبيعية" هي سمات متكاملة للتخيلات الوطنية لكل من الأمم "العرقية" و"المدنية" . يتم تأميم الإقليم من خلال الارتباطات العرقية والتاريخية ويحقق أهمية بالمعنى الرمزي : "أرض الأحلام ... أكثر أهمية بكثير من أي تضاريس حقيقية ."

في إطار جغرافية الثقافة ، يُنظَر إلى المظاهر الطبيعية [من قِبَل ستيفن دانييلز في كتابه "حقول الرؤية"، 1993] كونها ساحة للرمزية الوطنية : "كأمثلة للنظام الأخلاقي والتناغم الجمالي ، تحقق المظاهر الطبيعية المعينة مكانة الرموز الوطنية" . ولكن في حين يؤكد دانييلز على دور الفنون في التعبير عن الهوية الوطنية والتفاوض عليها ، فإنه يلاحظ أن العلماء والمهنيين ـ بما في ذلك الجغرافيون ـ قد تم تجنيدهم أيضًا . وبالتالي ، فإن **الهوية الوطنية** هي منطقة معقدة من التقارب ـ لعدد من الخطابات ـ السياسية والفنية والأكاديمية ـ التي **ليست مجرد انعكاسات لبعض الواقع الاجتماعي ولكنها تعمل على تشكيل ذلك الواقع .**

ولا ينصب اهتمامي في هذه الورقة على التمثيلات الجمالية للأمة ، بل على التأسيس المتخيل للأمة في بيئة معينة ـ والسمات الأخلاقية المفترضة لتلك البيئة . تتناول هذه الورقة اتجاهات "العودة إلى الأرض" في ويلز في فترة ما بين الحربين العالميتين وبعض صداها السياسي . إن الشوق إلى "السلامة الروحية للريف" هو موضوع مشترك بين القوميين والمثقفين ، وهو ما يفسر لماذا ما يزال هذا الموضوع يشكل أهمية كبيرة . لقد كان هذا هو الدافع وراء "اختراع التقاليد" في ويلز خلال الفترة الرومانسية . ولكنني أزعم أن الخيال الريفي المقدم هنا ليس رومانسيًا غير معقد . بل هو بالأحرى انخراط ديناميكي في "مكان على الهامش" ، على حد تعبير روب شيلدز . يصبح الريف منطقة حدودية تقريبًا يُنظر إليها على أنها تشغل أرضًا بين التقاليد والحداثة والمجتمعات التي يمثلونها . تصبح القطبية بين المنظورين الثقافيين غير واضحة وتظهر إمكانية تشكيل اجتماعي جديد. . . .

جوهر المحلية

لقد دعم بحث [إتش. جيه. فلور] ما يسمى باللاماركية الاجتماعية لباتريك جيديس ، وهو فهم موسع للأنواع البشرية ، بما في ذلك الخصائص العقلية والروحية والاجتماعية . كان هذا هو الأسلوب الذي ساهم به فلور في المناقشات حول الهوية في ويلز ، وهي الهوية التي يُنظر إليها تاريخيًا على أنها متجذرة في الريف والتقليدية . فبين عامي 1905 و1916 ، قام فلور وزميله تي سي جيمس بمسح 2500 فرد في ويلز ، مع تسجيل الاسم والجنس والموقع والتاريخ العائلي وإجمالي 19 سمة جسدية - بما في ذلك شكل الرأس وتصبغ الجلد . ومع ذلك ، لم يتم رسم خرائط للبيانات المتعلقة بالأفراد إلا إذا كان جميع الأجداد الأربعة يأتون من دائرة نصف قطرها 12 إلى 15 ميلاً ؛ وبهذه الطريقة ، تم قراءة الأشخاص كونهم "جواهر مركزة لتلك المنطقة" .

أظهر رسم الخرائط أن ويلز كانت تتميز بالتمايز الإقليمي الملحوظ ، والذي يُفهم على أنه نتيجة للتفاعل بين الوراثة والبيئة . لقد حمى الأخير التميز المحلي ، حيث لم تشهد ويلز سوى تأثيرات محدودة لحركات السكان الحديثة . ما أسماه فلور بالناس البسطاء في ويلز كان بمثابة تذكير بالثقافة المحلية . لقد مثلت ويلز أنواعًا من البشر الذين يعود تاريخ اختلافاتهم إلى ماضٍ بعيد . وكان من السهل التمييز بين هذه الأنواع ؛ حيث كان الويلزيون قادرين على "التعرف" غريزيًا على أن شخصًا ما ينتمي إلى منطقة معينة ، وقد تعززت هذه الجغرافيا الجوفية للويلزية من خلال إصرار فلور الإنساني على دراسة الأنواع المحلية في علاقتها بالمناطق الطبيعية بدلاً من الوحدات الإدارية .

وبهذه الطريقة ، تم بناء الويلزية كوحدة عضوية بين البشر والبيئة . وادعى فلور أن الميراث الجسدي الويلزي الأساسي كان من العصر الحجري القديم عندما كان شمال غرب أوروبا بعد العصر الجليدي في أيدي سكان متبقين - أشخاص قويو البنية ذوي لون داكن ورؤوس طويلة وعيون عميقة . وزعم فلور أن مثل هؤلاء الناس نجوا في أراضي بلينليمون [هكذا] وفي منطقة بلاك ماونتن في كارمارثينشاير . في الواقع ، كانت المزارع المتناثرة في بوملومون قد "أسفرت عن أكثر من سبع حالات بقاء كاملة غير عادية لذكور بالغين يتمتعون بخصائص جسدية نربطها عمومًا بأقدم نوع من الإنسان الحديث" . وبالتالي ، كان يُنظَر إلى مرتفعات ويلز - التي تتسم جغرافيتها بالوعورة وعدم الضيافة - كونها ملجأً من ما أسماه فلور "الحياة العالمية الجديدة في الخارج ."

كان النوع الأساسي - "الناس السود الصغار" - عنصرًا مهيمنًا في كل من ويلز الريفية والصناعية . ولكن على الأراضي الساحلية ، يمكن العثور على نوع كشف شيئًا عن الجغرافيا التاريخية والثقافية لويلز . تم العثور على هؤلاء الرجال "ذوي البنية القوية" واللون الداكن "في جميع موانئ الصيد تقريبًا" في كورنوال وكذلك في جزر هبريدس وأيرلندا وبريتاني وإسبانيا وجنوب إيطاليا ، مما يثبت الروابط الويلزية مع الدول الأوروبية البحرية وعملية الانتشار الثقافي على طول الطرق البحرية الغربية . يجب التأكيد على أن فلور تحدى مفاهيم النقاء العرقي وأن تحليله للأنماط الجسدية الويلزية كان يستند إلى حد كبير على تأثيرات الاتصال الثقافي والاختلاط . لقد هاجم باستمرار فكرة الأنماط الوطنية ، حيث جادل في عام 1922 بأن جميع البشر عبارة عن فسيفساء من الميراث وأن "النوع العرقي" يوجد بشكل أساسي في أذهاننا ولا ينبغي استخدامه دون تحفظ كبير في المناقشة العلمية .

كان نشطًا في الحملات المناهضة للعنصرية وكان ينتقد بشكل خاص النظريات العنصرية ، مثل الأسطورة النوردية للنازيين ، حيث تم استخدام العلم لإخفاء إن هذا النوع من الدعاية السياسية الشريرة . ورغم وجود نقاش مستمر حول تأريخ تحسين النسل ، فإننا نستطيع مع ذلك أن نضع فلور في إطار تيار تقدمي إصلاحي لحركة لم تكن ، وفقًا لسيرل [تحسين النسل والسياسة في بريطانيا، 1976]، هامشية أو متقلبة " بل كانت تحديًا مهمًا للسياسيين والمنظرين الأكاديميين على حد سواء" . ورغم رفض فلور لفكرة "العرق السلتي" ، فإنه ما زال يشعر بأن "الأنواع السلتية" محرومة جسديًا واجتماعيًا داخل المجتمع الصناعي وأن "جغرافيته الأخلاقية" ، التي نوقشت أدناه ، كانت سمة من سمات تحسين النسل "الإيجابي" المعني بالإصلاح الاجتماعي والبيئي .

تضاريس أخلاقية

[اعتقد فلور أن] ويلز على وجه الخصوص كانت "ملاذًا للطرق القديمة والأنماط القديمة" حيث تم الكشف عن الاستمرارية والمثابرة من خلال علم الآثار وعلم الإنسان . تسببت الجغرافيا في هذه الاستمرارية

لقد كسرت السمات الطبيعية للبلاد ، وإطار الأراضي الجبلية التي تفصل منطقة واي وسيفرن عن الوديان التي تشع إلى البحر ، وجه العديد من موجات التغيير قبل أن تصل إلى المناطق الغربية الهادئة . في المناطق الغربية النائية يمكن العثور على بقايا عرقية وطريقة حياة شعبية مستمرة ، ومحلية متقطرة من قرون غير مضطربة . في شخصية بريطانيا ، استعان عالم الآثار سيريل فوكس (1932)، مدير المتحف الوطني في ويلز ، بعمل فلور ليجادل بأن المرتفعات والمنخفضات البريطانية تأثرت بتيارات ثقافية مختلفة . كانت الأراضي المنخفضة عرضة للتغير الثقافي السريع ، ولكن في منطقة المرتفعات تم استيعاب ثقافات جديدة ، وبالتالي خلقت استمرارية ثقافية . بالنسبة لفوكس هناك مجموعة واسعة من الأدلة على هذا مثل **بقاء اللغة السلتية ، واستمرار الأصول العرقية القديمة جدًا في الغرب ، واستمرار العادات القبلية ، وأهمية القرابة والعشيرة** .

على نطاق أوسع ، رأى فلور أن هامش السلت في أوروبا "الملجأ النهائي في أقصى الغرب ، حيث تظل ، بين الوديان التي تنظر نحو غروب الشمس ، أفكارًا ورؤى قديمة كانت قد ضاعت من العالم . وبهذا المعنى الواسع والمجزأ بشكل واضح كان عمل فلور وزملائه يعكس تقاليد مفاهيمية أوروبية أوسع نطاقًا [ما أسماه لانجتون] "الموئل والاقتصاد والمجتمع" . وفي أماكن أخرى ، كان يُنظر إلى الريف ، وخاصة منطقة التلال ، على أنه يحافظ على إرث الماضي . على سبيل المثال ، كان الريف الألماني وفقًا لـFarr ، ""التقاليد"" والفلاحين : حول التأريخ الحديث لألمانيا الريفية ،"" فيEvans and Lee ، محرران ، الفلاحون الألمان، 1986 يُنظر إليه على أنه ""مستودع للتقليدية ، و... الفلاحين كونهم ترسانة من خصائص ما قبل الحداثة"" . وقد تم تحريف هذا لاحقًا إلى فلسفة "الدم والتربة" النازية . في فرنسا ، ازدهر علم الاجتماع الريفي وعلم الأعراق بعد الحرب العظمى ، وفي الدول الاسكندنافية ، كان يُنظر إلى دراسة التاريخ الزراعي وجذور الحياة الشعبية على أنها ذات أهمية معاصرة كبيرة . أشاد فلور بدور الدنمارك كمختبر للتجارب في تحديث حياة الفلاحين دون ترك الفلاحين في حالة انجراف .

تيار الإلهام

ولكن هذا الاهتمام الأوروبي بالريف لم يكن بالضرورة استجابة حنينية للتحديث . في كثير من الحالات ، كان يمثل محاولة لنظرية الأهمية الروحية الملموسة للمناطق الريفية النائية وشعوبها ، والتي يُنظر إليها على أنها ينابيع الحضارة . [بالنسبة لفلور] ... لقد ساهم شعب الظلام الصغير، وهو النوع الويلزي الأساسي ، بأعداد كبيرة من قساوسة الكنيسة ، وذلك لأن المثالية لدى شعب الأراضي الخصبة "تعبر عن نفسها عادة في الموسيقى والشعر والأدب والدين وليس في العمارة والرسم والفنون التشكيلية عمومًا" . وكان أصحاب الأنواع الأكثر عدلاً ، والأنواع الأكثر ظلمة ، والأنواع الساحلية ، أكثر بروزًا في التجارة ، وكان أصحاب الأنواع الأولى أيضًا من الساسة الأذكياء . وعلى هذا فإن الجغرافيا التي سمحت باستعادة "الناجين" على جزيرة بوملومون سمحت أيضًا باستعادة مخزن للقيم المحمية بالاستمرارية الاجتماعية .

وبهذا المعنى، [ما أسماه ديفيد ليفينجستون، التقليد الجغرافي، 1992،] كانت طقوس التقسيم الإقليمي أيضًا طقوسًا أخلاقية . وكان فلور مقتنعًا بأن الفلاحين يعتزون بالقيم العالمية الدائمة ، وأنهم كانوا يؤمنون بأن القيم العالمية هي قيمهم . لقد احتفظت حياة الفلاحين بتنوع حيوي . وقد اعترف فلور بأن الاعتراف بالاهتمام بالتقاليد الريفية القديمة قد يبدو بالنسبة لسكان المدن والضواحي مجرد عاطفة . وقد أكدوا أن الزمن قد تغير، ولكن فلور لاحظ أن بعضنا يشك في ما إذا كان التغيير دائمًا تقدمًا وما إذا كان التغيير، كما يؤثر علينا ، ليس غالبًا تخصصًا في اتجاهات معينة يقطع الاحتمالات في اتجاهات أخرى .

لم يكن فلور مناهضًا للحضر ؛ فقد رأى **أن إمكانات المدينة هي التعبير الاجتماعي عن العناصر الأفضل في الروح البشرية ، ولكن في ظل ظروف الرأسمالية الصناعية ، كانت التأثيرات على كل من الناس والبيئة مدمرة** . ومن هنا جاء دعم فلور لحركات تخطيط المدن المختلفة ، بما في ذلك "التربية المدنية" لباتريك جيديس . و وفقًا لفلور، فإن المجتمع الحديث يهدد بإهمال الروح في السعي وراء المادية : "إنها حالة من السلع الرخيصة والطعام الرخيص لأناس رخيصين في منازل رخيصة ومدن رخيصة" . كان يُنظَر إلى التحديث كونه ذا تأثير ضار على الشخصية على النقيض من التنوع الغني لحياة الفلاحين . وفي حين أن تسلسل الحياة الأخير ربما حد من المبادرات ، فإنه يحمي الناس أيضًا من أن يصبحوا حطامًا في الأحياء الفقيرة والضواحي . في الغرب الريفي ، وفقًا لفلور، كانت الشخصية متطورة تمامًا وحتى الناس البسطاء العاملين كانوا يناقشون الفلسفة أو الدين بشغف .

في رأي فلور، كان للفلاحين أهمية في مكافحة مادية عدم التدخل . في عام 1921 ، زعم أن الأمل الوحيد للحضارة في تجنب الانهيار هو وجود تدفق للإمدادات من المناطق الريفية حيث نجت كنوز الإلهام القديم . كان يُنظَر إلى ويلز كونها نبعًا قد تتدفق منه تيارات من الإلهام المنعش للحياة التجارية المجهدة والمرهقة في إنجلترا الحديثة . وقد زعم فلور أن الحياة البريطانية قد أثرت بفضل المهاجرين من الغرب السلتي الذين سعوا إلى الحصول على عمل في ساحات مثل الجيش أو الكنائس أو السياسة حيث يمكن الافادة على أفضل وجه من الخصائص الاجتماعية المنسوبة إلى أنماطهم الجسدية . لقد كان ذلك الربيع لتقليد ثقافي قديم مع رؤيته وأحلامه التي منحت رجاله الجودة التي نحتاجها للحفاظ على نضارتنا . لقد تم الحفاظ على عمال المناجم في جنوب ويلز من بعض أسوأ شرور الصناعة من خلال هذه الاتصالات وقليل من الذين عرفوهم جيدًا سيجادلون في البيان بأنهم عنصر قيم بشكل خاص في سكاننا البريطانيين .

القومية والريفية

كان Iorwerth Peate (1901-1982) أحد أوائل طلاب Fleure في الجغرافيا والأنثروبولوجيا فيAberystwyth ، و واصل لاحقًا أبحاث الدكتوراه تحت إشرافه حول الروابط بين النوع المادي واللهجة الويلزية .(Peate 1926a) كان بيت ، وهو ابن نجار من ريف ويلز ، يشارك فلور قلقه بشأن عدم الحساسية الثقافية وخاصة ميل التحديث إلى استئصال الاختلافات المحلية . وكان مدافعًا متحمسًا عن عامة الناس ، وشارك فلور وستابليدون في الاعتقاد بحكمتهم وروحانيتهم الأساسية . و وفقًا لبيت ، فإن مناقشة الدين أو الأدب أو السياسة في ويلز تتطلب بطبيعة الحال الذهاب إلى النجار أو صانع الأحذية أو عامل المناجم أو الحداد الويلزي الحقيقي . كان بيت يرى أن المجتمع الريفي ناشئ عن تقليد حي ، وفي النهاية لغة حية . وبالتالي ، اكتسبت الحياة الشعبية أهمية هائلة في سياق التحديات الحديثة للاستمرارية الثقافية .

وبالنسبة لبييت ، كانت ويلز ملاذًا من موجات الثقافات الجديدة التي تقدمت من الشرق . في الغرب ، يمكن أن نجد الأغاني الشعبية ، والخرافات ، والحرف اليدوية ، ومعاملة الفقراء بلطف ، ومجموعة أخرى من الأشياء التي تشبه شظايا حلم ضاع في ضجيج العملاق الصناعي . كان اهتمام بيتي الخاص بالصناعات الحرفية في المناطق الريفية في ويلز . عندما حرر مجلة Fleure's Festschrift في عام 1930 ، ساهم بمناقشة حول خراطة الخشب الويلزيين وتجارتهم ، حيث حدد جغرافية الإنتاج والتسويق وتتبع التأثيرات الأوروبية على الأسلوب (ربط ويلز مرة أخرى بشبكة أوروبية أوسع). ولكن التأثيرات الجديدة كانت واضحة بشكل متزايد:

إن إدخال الملاعق المصنوعة في ألمانيا إلى مقاطعة بيمبروكشاير وملاعق وولوورث إلى المدن الكبرى يدمر ببطئ بقايا تجارة الخراطة . وكما لاحظ المراقب الإنجليزي للحياة الريفية ، جورج ستورت ، فإن التغييرات الجمالية تعكس التغيير الثقافي . كان بيت مقتنعًا بأن الأساس الروحي للحياة الريفية الويلزية - بل والحضارة ككل - يعتمد على الحفاظ على التنظيم الصناعي الريفي القائم على مزيج من الزراعة والصناعة والحرف اليدوية . لقد زعم أن القرية كانت دائمًا مجتمعًا مكتفًيا ذاتيًا حيث يتم الجمع بين العمل والترفيه والمبادرة الفردية والتعاون لإنتاج سياسة ريفية تبدو أقرب إلى الكمال من الكفاح غير الصحي لتلك المجتمعات حيث الفقر المدقع والثروة لا تتناسب بأي حال مع احتياجات أولئك الذين يتمتعون بها . كان **المجتمع نظامًا عضويًا** مكتفًا ذاتيًا وتعاونيًا يشجع على المجاملة والفن واللطف . ومع ذلك ، فقد وجد أثاث المدن الرديء والصناعات قصيرة العمر لشركات الإنتاج الضخم طريقها إلى الريف ، والنتيجة ليست فقط تدهورًا للضروريات المشتركة للحياة ، بل **وتفككًا أيضًا للمجتمع الريفي .**

دعوة إلى القومية

كان بيت من بين الأعضاء الأوائل في حزب بلايد سيمرو ، الحزب القومي الويلزي ، الذي تأسس في عام 1925 وساعد في تحرير صحيفة Yddraig goch ، وهي الصحيفة الشهرية للحزب . و وفقًا لـ دي إتش ديفيز، لم يكن حزب بلايد سيمرو خلال السنوات العشرين الأولى من عمره حزبًا سياسيًا على الإطلاق ، بل كان حركة ثقافية وتعليمية تسعى إلى إثارة الشعور بالهوية العرقية المشتركة و"مقاومة وعكس كل تلك الاتجاهات التي كانت تدمج ويلز في إنجلترا" . وبينما كان هذا الشعور بالهوية يركز بشكل كبير على اللغة ، فإن مفهوم الاستمرارية الثقافية كان مفهومًا من الناحية الجغرافية ، وهو ما عكس أعمال فلور وآخرين . وكانت المكونات الرئيسية في إعادة بناء الهوية هذه هي جاذبية المناطق الريفية . ولقد كان كتاب "الأرض الويلزية" أحد الأساليب التي تم من خلالها نشر هذه الرسالة الجغرافية والثقافية . ففي عام 1926 ، زعم بيت في صفحاته أن ويلز كانت "نواة خالدة" تحتوي على جوهر تقاليد العالم الغربي وأنه كان من واجب الويلزيين ضمان استمرارها من خلال مقاومة التعدي الثقافي الإنجليزي .

وأكد سوندرز لويس ، رئيس الحزب ، على هذا الرأي ، مجادلاً بأن ويلز كانت أمة أوروبية وليست منطقة بريطانية . وزعم أن التقاليد اللاتينية الأوروبية في بريطانيا لم يكن ممثلاً إلا من قبل الويلزيين ، ومثله كمثل فلور، اختار أن ينظر إلى الويلزيين "ليس كشعب مدفوع بتهور إلى الغرب والجبال قبل هجوم أنجلو ساكسوني سريع لا رجعة فيه" ولكن كبريطانيين عرفوا أنفسهم بالمثل الثقافية والروحية الرومانية بما في ذلك المسيحية . ولقد كان استمرار الثقافة السلتية الحديثة في غرب بريطانيا ، بالتالي ، بمثابة دحض للثقافة والسياسة الأنجلوساكسونية . وإذا ما خُيّر الويلزيون بين الإمبراطورية وعصبة الأمم ، فإنهم ـ كما زعم لويس ـ سوف يختارون عصبة الأمم وأوروبا شبه الفيدرالية المكونة من الدول الصغيرة . وحث لويس على النظر في مطالبات ويلز بالقومية في سياق التاريخ الأوروبي ، مع العصور الوسطى قبل ظهور الدولة الحديثة ، كونها المثل الأعلى . وعلى هذا فقد ربط سوندرز لويس وإيروورث بيت ويلز بقوة بالتيارات التاريخية والمعاصرة للحضارة الأوروبية. . . .

لقد احتوى كتاب "ويلز في العصور الوسطى" على تحليل سياسي أوروبي وعالمي ، . . وفي حين نظر البعض إلى أيرلندا ، استلهم كثيرون الإلهام من الثقافة والسياسة الأوروبية. . . العودة إلى الأرض من بين التيارات الفكرية السياسية والاجتماعية القوية في أوروبا ما بين الحربين العالميتين ، كما رأينا ، كان هناك إضفاء الطابع المثالي على السكان الريفيين والمناطق الريفية كونها تدعم الخصائص "الوطنية" . وقد

دعم هذا الإضفاء المثالي حركات مختلفة تهدف إلى تحويل توجه المجتمع ، سواء من الناحية الإيديولوجية أو المادية ، "العودة إلى الأرض" .

كان العديد من هذه الحركات على اليمين ، وكان المثال المتطرف هو أيديولوجية "الدم والتربة" النازية . كما روجت الجماعات الفاشية والمحافظة البريطانية لأفكار مماثلة . ولكن هذه المثالية الريفية كانت أيضًا مركزية في العديد من الحركات الاشتراكية والتوزيعية . على سبيل المثال ، أثرت الحركات التعاونية الدنمركية على عمل العديد من الحركات الشعبية . في بريطانيا ، تأسست حركات الفنون والحرف اليدوية والحدائق على التناقض الاشتراكي الرومانسي بين القمع الصناعي للبروليتاريا والتحرر الريفي . في منطقة مناجم الفحم في جنوب ويلز، سعى الكويكرز إلى تخفيف الحرمان من خلال إدخال ورش العمل الحرفية ووحدات المزارع .

ساهمت هذه التأثيرات المجزأة في ظهور مشاعر معادية للصناعة والحضر داخل حزب بليد سيمرو الذي زعم أن هذه التأثيرات كانت لعنة على ويلز . ألقى أمبروز بيب - على غرار جورج ستابليدون - باللوم على نظام التعليم في التسبب في هجرة السكان الريفيين من خلال فشله في غرس القيم الريفية : يا له من أمر محزن ... "إنني أرى جيلاً بعد جيل من الأولاد والبنات يتجمعون معًا في مدارس السهول ، ليشربوا من سم يضعفهم بشكل واضح ويجعلهم غير قادرين على إدراك عظمة المراعي المرتفعة وحياة الرعاة ، ورومانسية زراعة الأرض ، واستنشاق رائحة التربة الخصبة بشغف ؛ ولكنهم ينطلقون بدلاً من ذلك بطريقة جبانة ، بلا شجاعة ولا بطولة ، إلى المساكن الكسولة الخاملة في المدن والبلدات .

في رأي بيب إن إحدى أعظم احتياجات ويلز اليوم ليست فقط إبقاء أبنائها على الأرض ، ولكن أيضًا إعادة الجماهير التي تدفقت هناك خلال السنوات الأخيرة من المدينة إلى الأرض . وقد زعم المستشار الزراعي الرئيسي للحزب ، موسى جروفود ، أن إعادة الناس إلى الأرض ليس مناسبًا فحسب ، بل إنه ضروري إذا كانت الأمة الويلزية تريد أن تعيش ." إن الأمة الويلزية هي أمة تمتد جذورها إلى الريف والتربة . ومن الواضح أن هذا الشعور بالعودة إلى الأرض يعكس التفسير الأكاديمي للفضيلة الريفية . ولكن الأكاديميين مثل فلور وستابليدون اقترحوا أيضًا خططًا لتجديد الريف والتي أثرت أيضًا على الخطابات السياسية الأوسع نطاقًا ، جزئيًا من خلال وكالة إيوريرث بيت .

كان فلور ملتزمًا بالدور النشط للتعليم في حياة المجتمع ، وبالتالي الحفاظ على تقليد ، لقد تأسست الجامعة في أبيريستويث عندما تأسست الكلية في عام 1872 بأكثر من 100000 تبرع بقيمة أقل من نصف كراون من جويرين . لقد كان يعتقد أن رفاهية بريطانيا تعتمد على عودة الحيوية إلى الحياة الإقليمية وأن الجامعات قد تكون مفيدة في هذا التجديد كما كان الحال في أبيريستويث ، كما زعم . كان عمله في تعليم الكبار ومع حركة المسح الإقليمي وإيمانه بدور الجامعة كمقدم للمشورة المتخصصة ، جزءًا من هذه العلاقة المتبادلة بين المؤسسة والمجتمع . لقد زعم أن المسح يجب أن يعزز التجديد الاجتماعي من خلال غرس المواطنة والوعي الروحي بالمكان : إن أول ندائي هو أنه في عملنا يجب أن نزرع الضوء الرئيسي للذكريات والتقاليد والحدس العميق للحياة ، وأننا نستطيع أن نفعل ذلك بقوة من خلال تشجيع الملاحظة المباشرة ودراسة المحيط الذي نعيش فيه .

من شأن هذا الوعي والوطنية المحلية أن يسهلا إعادة الميلاد القائم على التقاليد ، ففي تقرير لمجموعة مؤثرة في حملات التخطيط ، تناول فلور المستقبل الاجتماعي والاقتصادي لخليج كارديجان ، وبالتالي طبق فهمه الفلسفي للمجتمع الريفي . وألقى باللوم على سياسة عدم التدخل في تدهور الصناعات التقليدية وأشار إلى بعض العواقب ، وأبرزها الدور المتزايد للسياحة في القرى الساحلية . وكان السكان الذين أصبحوا

يعتمدون كليًا على سياح المدينة منحطين اجتماعيًا ، وحث فلور على اتخاذ إجراءات لأسباب أخلاقية ومدنية ومالية . ودعا إلى الدعم العلمي من الجامعة وسلطة مركزية وتعاونية للسيطرة على الصناعات المحلية . كانت الموضوعات في علم اجتماع جيديس ، مثل "التعاطف المدني" و "إعادة التكامل الاجتماعي" ، عناصر حاسمة في رؤية فلور للتطور الاجتماعي .

كما لعبت التكنولوجيا دورًا، وقد تتطور زراعة الغابات والطاقة الكهرومائية جنبًا إلى جنب مع مصايد الأسماك ـ وهو النمط الذي كان سائدًا آنذاك في بلدان جبال الألب وإسكندنافيا ـ والواقع أن الطاقة الكهرومائية كانت تُعَد حاسمة في تحويل ما أسماه فلور "مناطق الصعوبة" . وكان هذا جزءًا من اتجاه أوسع نطاقًا للتبشير بالتكنولوجيا الجديدة التي أطلق عليها بيل لوكين [في "أسئلة القوة"، 1990] "التقنية الأركادية" حيث يتم استبدال الأنظمة القديمة الأخلاقية بالأنظمة القديمة . لقد أعيد تأسيس النظام على أسس تكنولوجية حديثة .

إعادة ميلاد الأمة

كانت رؤية بيت بعيدة كل البعد عن التراجع الحنين إلى الماضي . فهو يوفر مرة أخرى رابطًا بين الخطابات الأكاديمية والسياسية حول طبيعة المجتمع الريفي الويلزي . واستند الإجراء الذي اقترحه بيت لإعادة تنشيط ويلز الريفية إلى دراساته الأكاديمية للحرف والتنظيم الاجتماعي . في نقد لتقرير سكوت لعام 1942 حول استخدام الأراضي في المناطق الريفية ، هاجم بيت الانقسام بين المناطق الحضرية والريفية ، مدعيًا أنه عاطفي وغير أخلاقي بالفعل ، ولا تطبيق له في ويلز . لقد زعم بيت أن ويلز الريفية كانت تتميز دائمًا بالأساس المزدوج للزراعة والصناعة . لا أحد ، مع مراعاة العناية بالتخطيط والتصميم ، يحتاج إلى الخوف من تدمير الجمال من خلال التصنيع . إن الصناعة قادرة بالفعل على تجميل المناطق الريفية : يتعين علينا أن نواجه هذه الحقائق بدلاً من أن نعيش في ضباب عاطفي ونرضى بالضعف المستمر الذي تعاني منه المناطق الريفية ، فهناك أسس ديناميكية للجمال الحقيقي .

ومثل فلور، دعا بيت إلى تطوير الطاقة الكهرومائية والغابات ، ودافع عن إدخال صناعات "متحركة" جديدة إلى المناطق الريفية في ويلز، مثل الصناعات البلاستيكية ، والتي تقع في إضافات مخططة جيداً إلى المستوطنات القائمة . ولكن هذه لم تكن مجرد حجة تخطيطية للريف ؛ بل كانت محسوبة لإعادة تأسيس الجغرافيا الأخلاقية للمجتمع العضوي . ويمكن للمصانع الصغيرة أن تبث حياة جديدة في المناطق المتدهورة ، و وقف تدفق السكان وإعادة تأسيس التنظيم الاجتماعي القديم وأساسه الأخلاقي للتعاون على أساس تكنولوجي جديد .

وكما يقول لوكين ، فقد أكد المتحمسون المنتصرون للكهرباء على الروابط "الطبيعية" بين الزراعة ، وإحياء مجتمع القرية "العضوي" ، والشكل الجديد للطاقة كمحفز للحرف والصناعات الريفية . وقد تبنى حزب بلايد كمرو هذه الأيديولوجية التي تعود إلى الأرض ، والتي استمدت إلهامًا واسع النطاق لفكرتهم عن خطة وطنية . في عام 1939، زعم المحللون ، مستفيدين من عمل جورج ستابليدون ومن تجارب دول أوروبية صغيرة أخرى ، أن ويلز قادرة على تحمل تكاليف الحكم الذاتي . وكان مصدر إلهام آخر هو مخطط التنمية المتكامل والديمقراطي لهيئة وادي تينيسي . وزعم سوندرز لويس أنه ينبغي إنشاء مجلس التنمية الوطنية الويلزي لتوجيه عملية إزالة الصناعة الجارية في سنوات الكساد لصالح ويلز . وزعم أنه ينبغي للعمال الصناعيين السابقين أن يستقروا في مستعمرات زراعية ، وأن تعمل هذه السياسة جنبًا إلى جنب مع إزالة الأحياء الفقيرة في المناطق الحضرية . ولكن هذه السياسة لم تكن مجرد استجابة للانحدار الصناعي . لقد كان هناك تماسكا اقتصاديا وأيديولوجيا كما يتضح من النقاط العشر للسياسة التي وضعها لويس ، والتي نُشرت

عام 1938. لقد زعم أن الزراعة يجب أن تكون الصناعة الأساسية في ويلز "وأساس حضارتها" وأن جنوب ويلز يجب أن يتم نزع الصناعة منها " من أجل الصحة الأخلاقية لويلز" وسكان المنطقة. . . .

الخلاصة

خلال المناقشات حول أولوية القيم الريفية ، زعم بيت أنه يجب الاعتراف بتقاليد الماضي في حل المشاكل الحالية ، وهو أحد موضوعات حركة المسح الإقليمي . وفي كل إعادة تخطيط ، يجب على الأمة الويلزية ، كما زعم ، أن تنظر إلى تقاليدها الخاصة . في Yddraig goch ، دعا إلى دور الزراعة والبستنة كمكملات للتعدين والصناعة في إحياء جنوب ويلز . إن الطاقة الكهرومائية والغابات واسعة النطاق يمكن أن تشكل أيضًا الأساس لثقافة ريفية ويلزية جديدة : إننا نصرخ من أجل الأساليب القديمة دون جدوى : نحاول إحياء الموتى دون جدوى ، ولكن على قبر الأساليب القديمة ، يمكننا بناء مصانع جديدة والحفاظ على روح الثقافة الغنية التي ورثناها من الحرفيين القدامى في ويلز ، على صوت آلات هذا العصر .

في نظرية بيت التقنية الأركادية ، تم إحياء النظام القديم على أساس صناعات حديثة جديدة . مثل هذه الأفكار ، التي عبر عنها أيضًا فلور وستابليدون ، بدأت في جعل "الريف" أكثر تعقيدًا في فترة ما بين الحربين العالميتين . في جوهر الأمر، لا يمكننا أن نرى كيف يمكن أن يكون هذا هو الحال . إن العلاقة بين الريف والمدينة هي استقطاب بسيط بين التقاليد والحداثة ، أو بين الركود والتقدم. وفي دراسته لجمهورية فايمار وألمانيا النازية ، حدد جيفري هيرف ما يسميه "الحداثة الرجعية" ـ استيعاب التقدم التكنولوجي في الرومانسية المناهضة للرأسمالية .

كان اليمين بارعاً بشكل خاص في التوفيق بين التقليد والحداثة ، وتسخير المثالية التاريخية بالتزامن مع وعود القرن العشرين المنظم والعلمي ، الأمر الذي أنتج "تناقضاً غريباً... بين المواضيع الحديثة والمناهضة للحداثة" [كما يسميه كولن] . ولكن الفكرة الأساسية هنا ربما تكون التوتر بين المادية والمثالية . وزعم هيرف أن الحداثيين الرجعيين لم يروا المادية والتكنولوجيا متطابقتين . وعلى هذا فإن التوفيق بين التكنولوجيا والمثالية كان ممكناً ، وفي حين نجح اليمين في التوفيق بينهما حول الاشتراكية الوطنية ، فإنهما نجحا في أماكن أخرى في أوروبا ما بين الحربين العالميتين ـ بما في ذلك ويلز ـ في التوفيق بينهما حول فكرة "الجغرافية الأخلاقية" .

وكانت المفاهيم الحداثية للتقدم واليوتوبيا والديمقراطية ، التي تمثلها التكنولوجيا بالنسبة للبعض ، متحالفة مع المثالية الريفية التي تركز على الأخلاق والاستمرارية الثقافية . ولم تكن العودة إلى الأرض بالضرورة خطوة رجعية ، بل كانت خطوة تحدت الأفكار السائدة عن "التقدم" : الأفكار القائمة على الرأسمالية الصناعية والحياة الحضرية . وأكدت أن بعض قيم المجتمع والفن ، التي تنكرها الحضارة الحضرية على ما يبدو، يمكن استعادتها في المناطق الريفية .

وفي حالة القومية الويلزية ، فإن العودة إلى الأرض قد تعيد توحيد الثقافة مع تأثيراتها الأوروبية . في حين أن الحداثة تُصاغ عمومًا في معارضة لمفاهيم الرومانسية أو الحنين إلى الماضي ، فإن هذه العودة إلى الأرض تدافع عن نسختها الخاصة من التقدم ، والتي تأسست على اندماج طوباوي بين الماضي والمستقبل . وقد لخص إيوريرث بيت هذه العلاقة الجديدة بين التقليدي والحديث من خلال الاستعانة بكتاب لويس مومفورد "التقنيات والحضارة" . وكما قال مومفورد نفسه [مع] تغيير المثل العليا من الفتح المادي والثروة والقوة إلى الحياة والثقافة والتعبير، فإن الآلة مثل العامل اليدوي مع سيد جديد وأكثر ثقة ، سوف تعود إلى مكانها المناسب : خادمنا ، وليس طاغية .